

نحو فهم أعمق لـ

الإرادة والاستقلال، مؤهلاً ليكون «مستقلاً» في الشكل والظاهر، تابعاً في الحقيقة والباطن! وعليه، فإن أية عملية تقويم موضوعية لانتفاضة الأقصى، لا ينبغي أن تتوقف -كما جرت العادة لدى بعض النخب السياسية والثقافية- عند الحجم الكبير للتضحيات التي يسمونها خسائر، وعند الواقع العربي والإسلامي «المترهّل»، والواقع الدولي المتراجع في دعمه للقضية الفلسطينية، والمتواطئ عند بعض قطاعاته مع الكيان الصهيوني، بحسبان أن تلك هي النتائج العملية للانتفاضة، والتي تم اعتمادها من طرف النخب المذكورة كمعايير لتقويم الانتفاضة، والخروج بنتائج «محبطة»، تستخلص في ضوءها خلاصة مفادها أنه آن الأوان لهذه الانتفاضة أن تتوقف، وأن استمرارها عملية «عشوائية» و«عدمية» لا طائل من ورائها!

نحن لسنا بصدد القفز عن الاعتبارات أو المعايير التي يستند إليها أولئك المعارضون للانتفاضة، ولكننا نريد أن نحدد المعايير الأساسية التي تنطلق منها في عملية التقويم، وهو ما نراه يكمن في النظر إلى طبيعة الانتفاضة وأهدافها، فهذا هو الذي يمكن أن يقودنا إلى تقويم صحيح وموضوعي.

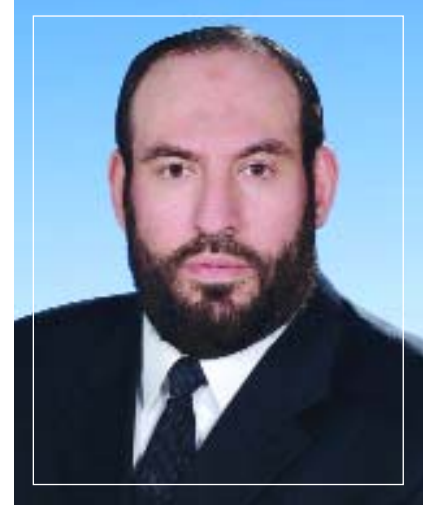
الانتفاضة.. عملية «دفاعية»

تنظر بعض النخب إلى الانتفاضة على أنها عملية «هجومية»، خلافاً لنظرتنا إليها، حيث نراها نحن عملية «دفاع» بامتياز عن النفس، إذ لا يعني تنفيذ عمليات عسكرية ضد الاحتلال وتوجيه ضربات له إعطاء صفة «الهجوم» عليها، فالانتفاضة هي جزء من عملية النضال ضد الاحتلال، وإطلاق صفة «الدفاع» عليها تستند إلى أن الشعب الفلسطيني يقاتل ويقاوم على أرضه، في حين إن العدو الصهيوني هو الذي يقاتل على أرض ليست هي أرضه، وهو في عملية «هجوم» مستمرة ضد شعبنا الفلسطيني منذ أن أنشأ كياناً سياسياً هو (إسرائيل). واستمرار عملية «الهجوم» مردها إلى أن بسط الاحتلال لسيطرته العسكرية على الأرض الفلسطينية، وطرده وتشريد جزء كبير من الشعب الفلسطيني لم يُنه القضية الفلسطينية، حيث بقي

لعلّ تعبير «تشعل شمعتها الخامسة» هو التعبير الأدق عند الإشارة إلى «انتفاضة الأقصى» وهي تدشن عاماً جديداً من المقاومة والنضال، بدلاً من تعبير «تطفئ شمعتها الرابعة»، ذلك أن الإشعال هو نقيض الإطفاء، ولئن راج تعبير «يطفئ» عند الإشارة إلى ذكرى ميلاد إنسان أو جهة ما، باعتبار أن عاماً قد مضى أو انتهى، فإنه من الضرورة مراجعة هذا التعبير أو تدقيقه عند الإشارة إلى الذكرى السنوية لانتفاضة الأقصى المباركة، إذ إنّنا أمام ظاهرة نضالية إبداعية تستحق التدقيق في إطلاق الأسماء والأوصاف عليها، حتى يستقيم المبنى مع المعنى، والاسم مع الوصف. ولئن كان بعض الناس يرون في ذلك «تشدداً» أو «تشدداً»، وينظرون إلى أن العبرة بالمسميات لا الأسماء، فإننا نطالب بالدقة في إطلاق الأسماء والصفات على الظواهر السياسية أو الاجتماعية أو النضالية، لأن ذلك من شأنه أن يشكل مدخلاً صحيحاً لفهم تلك الظواهر والتعامل معها، فالقدمات الصحيحة تؤدي إلى نتائج صحيحة، وعكسها يؤدي إلى نتائج خاطئة.

ونحن هنا لا نتوقف عند الاسم أو الوصف فحسب، ولكننا نتجاوزهم إلى محاولة فهم طبيعة وأبعاد الظاهرة النضالية التي نتناولها؛ «انتفاضة الأقصى»، وهي التسمية التي أطلقت عليها، نتيجة انطلاق شرارتها الأولى من المسجد الأقصى وباحاته وساحاته.

إن «انتفاضة الأقصى» تمثل ظاهرة نضالية اقترنت بفعلها الإبداعي خلال الأعوام الأربعة المنصرمة من «الإعجاز البشري»، فنحن إزاء شعب تحاصره طائرات الآباتشي، و«إف ١٦» و«إف ١٨»، والدبابات والآليات العسكرية من كل جانب، برأ وبحراً وجواً، وتقذف بحممها على العزل والمدنيين، فتدمر البشر والحجر والشجر في إطار عملية منهجية ومدروسة، وليست في إطار «عشوائية» وعفوية. هذه العملية تستهدف في محصلتها كسر إرادة الشعب الفلسطيني وصموده، توطئة لإخضاعه للبرنامج الصهيوني، الذي يقوم على فرض تسوية سياسية تتعامل في جوهرها مع الشعب الفلسطيني باعتباره أقلية قومية في إطار دولة يهودية «نقية» يتم منحه فيها كياناً سياسياً مجرداً من مقومات



بقلم: محمد نزال

عضو المكتب السياسي لحركة حماس